قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصيرة

ربّان الذَّوات

أسماء الغانمي

منشورات الواحة

ريّان الذَّوات

أسماء الغانمي

© جميع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.
عنوان الكتاب: ريان الذوات. تأليف: أسماء الغانمي.
نوع الكتاب: قصة قصيرة. عدد الصفحات: 13صفحة.
الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.
الرقم الدولي **EBIN**: 38-07-1-230708

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967779284583

إنستقرام: **manshurat_alwaha** تيليجرام: 9dWSGDis.gd/

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#ريان_الذوات).

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

منشورات الواحة

لِكُلِّ أَطْفَالِ التَّوحُّدِ.

إِلَى الأُمَّهاتِ الحَانِيَاتِ، اللَّواتي يُعانَيْنّ مِنْ غُرورَقَةِ الأَسَى وَالكُتْمَانِ.

إلى الَّتي بَاهتْ بابْنِهَا، وَلَمْ تَجْعَلْهُ حَبيسَ الجُدْرَان، لَنْ تُوفِيْكِ الكَلِمَاتُ؛ حَتَّى لَو صَاغَ البَحْرُ مِائةَ كَلِمَةٍ.

وَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ.

إلى أولئكَ الَّذينَ جَعَلُوا مِنْ وقتِهِم جِسْرًا يَعْبُرُهُ ذَوِي الهِمَمِ منْ عالَمِهِمِ القَاتِمِ، إلى عَالَمِ النُّورِ، إلى مُعَلِّمينَ، وأخصائيِّ ذَوِي الاحْتِيَاجَاتِ الخَاصَّة..

فِقْتُ منَ النَّومِ -الخَامِسَةَ والأربعينَ دقيقةً- صَبَاحًا؛ لاستقبالِ بُزُوغِ الشَّمْسِ وهي تُثْنِي قُبُلَاتِهَا على البَحْرِ،

بدأتِ الشَّمسُ تُرْسِلُ خيوطَ أشعتِهَا خيطًا خيطًا؛ تمهيدًا لفَرْشِ جناحِهَا الأعظمِ على سطحِ البحرِ.

للمرَّةِ الأولى أُشَاهِدُ هذا السَّحرَ المستَوحَى منَ الطَّبيعةِ، اختلطتْ الصَّفرةُ مع الزُّرقةِ، فشكَّلتْ لونًا ربَّانيًا،

لونًا مُرْسَلاً منَ الجنَّةِ، لم يُكْتَشَفْ بعدَ عنِ اسمِ هذا التَّجانسِ منَ الألوان، لكنْ سُرْعَانُ ما تبخَّرَ هذا المشهدُ منْ أمامي، فجلستُ على حافَّةِ زُرْقَةِ البحرِ، مستظلَّةً بزرْقَةِ السَّماءِ لوحةً فنِّيةً إلهيةً.

كنتُ في شُرُودٍ وتأمُّلٍ طفوليٍّ! منْ ملءِ هذا البحرِ؟ كم مِنْ إناءٍ يحتاجُ حتَّى ينكفئَ ويمتلئَ؟ تمنَّيتُ لو أنَّ الصَّحراءَ يُمْكِنُهَا التَّنقُّلَ ولها وجهاتٌ سياحيةٌ؛ كي تُشَاهدَ بهاءَ الطَّبيعةِ الخلَّابةِ، أتساءَلُ مع نفسي: ماذا

ستقولُ عندما تشاهدُ كلَّ هذا الجمالِ، أصابتْنِي لحظةُ الجمالِ، وفارتْ في دمِ وريدي.

رُبَّما سَتَغَارُ منْ رقةِ مدِّ البحرِ، وموجِهَا المتراقصِ على سِيمْفُونيةٍ عُزِفَتْ لأجلِهَا.

وأنا في ذُرْوةٍ مع هذا الفيلمِ الوثائقيِّ، وعلى إيقاعِ صوتِ الطَّبيعةِ، إذ يقطعُ انسجامي مع فلميِّ: أحدِهِم رَكَلَنِي على جنبي الأيمن، دُرْتُ وَجْهِي لمصدرِ الرَّكلِ، فإذا بطفلٍ أمامي، غامضِ الملامح، عابسِ الوَجْهِ، قاطبِ جبينِهِ، أسمرَ البشرةِ، وجْهُهُ يَفِيْضُ بالمِسْكِ، سُمْرَةٌ استعطفت بِنَبْرةِ صَوتِي قَائِلَةً: (لَقَدْ آلمْتَنِي).

لم يَعِرْنِي أيَّ اهتمامٍ، أخذَ كُرَتَهُ وذهبَ بالقربِ منِّي، لاحظتُ للوَهْلَةِ الأولى سُلُوكًا غيرَ طبيعيٍّ عليه، لكنْ لمْ يكُنْ موضِعَ اهتمامي.

عُدْتُ أسبحُ في خيالي، لكنْ سُرْعَانَ ما قَطَعَ ذلكَ الطِّفْلُ شُرودِي؛ مُكرِّرًا فِعْلَتَهُ، صَرَخْتُ مُزَمْجِرةً، لماذا يا صغيري تتعمَّدُ إيذائي؟

أخذْتُ كُرَتَهُ ووضعتُهَا تحتَ رُكْبَتِي، قلتُ: لن تأخذَهَا حتَّى تَعْتَذِرَ منِّي، هو دونَ أنْ يَلْفِظَ بكلمةٍ، انقضَّ عليَّ كأسدٍ ينقضُّ على فريستِهِ، تَرَكَ في وجهي آثارَ كَدَمَاتٍ، وَحَثَى وَجْهِي بحفنةٍ منَ التُّرابِ، وأخذَ كُرَتَهُ وذَهَبَ خَلْفَ كَومَةِ العواماتِ المكدَّسةِ على شاطئِ البحر...

وأنا أحاولُ لَمْلَمَةَ وترتيبَ نفسي، إذ بيدٍ تَرْبُتُ على ظَهْرِي مِنَ الخَلْفِ، أَدَرْتُ رَأْسِي للخَلْفِ، فَإذَا بِهَا امرأةٌ بتعابيرَ، وصوتٍ حزينٍ، هَمَسَتْ: أنَا أمُّ ريَّانِ الَّذي أثارَ هُدُوئِكِ قبلَ لحظاتٍ، أعتذرُ منكِ نيابةً عنْهُ.

قلْتُ لا عليكِ مُجَرَّدَ طِفْلٍ لا يُؤْخَذُ على تَصَرُّفَاتِهِ.

أمُّ ريَّانِ: ليسَ كذلكَ أنَّهُ يبلغُ منَ العمْرِ سبعَ سَنَواتٍ، وأخوهُ يصغرهُ سِنًّا لا يرتكبُ مثلَ تصرُّفَاتِهِ.

قلتُ: نَعَمْ، يبدو أنَّهُ عَنِيدٌ.

الأمُّ: لا ليسَ كَذَلِكَ! وَطَأْطَأَتْ رأسَهَا للأسفلِ، وذيلُ الخيبةِ ممدودٌ على ملامحِ عينيها اللَّتينِ لا تظهرُ منْ تقاسيمِ وجهِهَا سِوَاهُمَا؛

أنا بُحَيْرَةٌ وَجِلَةٌ، وَمَاذَا عَسَاهُ؟

قَالَتْ: إنَّهُ تَوحُّدِيٌّ، وهو اضِّطرابٌ مُصَاحِبٌ لهُ منذُ ولادتهِ، وأخذتْ أمُّ ريَّان، تُسْهِبُ في الكَلَام، وأنا سَرَحْتُ في استرجاعِ دروسِ محاضراتِ التَّوحُّدِ، لأربعِ سَنَواتٍ مَضَتْ وأنا أدرسُ السِّمَاتِ، والخصائصَ، والأعراضَ، والأسبابَ وكلَّ ما يتعلَّقُ بأطفالِ التَّوحُّدِ، قطعتْ أمُّ ريَّان، حبلَ أفكاري: المعذرةُ يبدُو أنَّكِ لَسْتِ مُهْتَمةً بمَا أقولُ، أُكَرِّرُهَا، اسْتَسْمِحُكِ عُذْرًا، سأذهبُ، اتَّكأتْ على أصَابِعِهَا وغاصتْ أصابِعُهَا في ذرَّاتِ الرَّملِ الهشِّ، كأنَّ حَالَ لسانِهَا يقولُ لو أنَّ بإمكانِهَا التَّواري بجسَدِهَا تحتَ هذَا الرَّملِ؛ هَرَبًا مِنْ مُعَضَلاتِ حياتِهَا المأساوية.

لا... يا أمَّ ريَّان، أنا في غَمْرَةِ السَّعادةِ، وأنا أستَمِعُ لكلامِكِ، يخالِطُهُ الأَسَى لوضعِ رَيَّان.

حياةُ ذَوِي التَّوحُديينَ مأساويةٌ بكلِّ ما تحمِلُهُ الكلمةُ مِنْ معنى، عيونُ الآباءِ تفيضُ مِنْ قوةِ الألمِ

والكُتْمَانِ لفترةٍ ذابتْ على خُدُودِهِم، فاستسلمَ الدَّمعُ، فَسَالَ، وَخَرَّ كخريرِ الماءِ.

سألتُهَا: هلْ أنتِ وزوجُكِ تربطكما صلةُ قرابة؟! بِخِفَّةٍ عَجِيبةٍ رَدَّتْ: (لا).

قُلْتُ لَهَا: رُبَّمَا تَعَرَّضْتِ لِمَرَضٍ أَثْنَاءَ حَمْلِكِ، أو أُصْبْتِ جُرَّاءَ مَمَارساتٍ غيرِ صحيحةٍ أثناءَ دُخُولِكِ غُرْفَةِ الولادة.

قالتْ: رُبَّمَا لمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ، فقدْ طَوَى بذاكِرَتي الزَّمنُ، بِتُّ أُعَانِي مِنْ ضَعْفٍ فِي الذَّاكِرَةِ.

قالتْ: كُنَّا نعتقِدُ أَنَّهُ مَسٌّ!؛ حَتَّى لمْ نتركْ شيخَ قُرْآنٍ ونحوه، إِلَّا وذهبْنَا إليهِ، اسْتَنْزَفُونَا مَادِّيًا؛ لعلَّ وَعَسَى أنْ نَجِدَ الشِّفَاءَ لِفِلْذَاتِ أَكْبَادِنَا.

قُلْتُ: مَتَى اكتشفتم مرضَ رَيَّان، قالتْ: ذهبتُ بهِ إلى الطَّبيبِ عندما بلغَ سِنَّ الرَّابعة، كانَ أقرانُهُ مِمَّنْ همْ في سِنِّهِ يعتمدونَ على أنفُسِهِم في الاستقلاليةِ فيما يتعلَّقُ في بعضِ الأُمُور، يتكلَّمونَ عكْسَ ريَّان، أجرينا لَهُ بعضَ التَّحاليل، حينَهَا قالَ الطَّبيب: إنَّ رَيَّانَ مُصَابٌ

باضِّطرابِ طَيفِ التَّوحُّدِ، وأنَّهُ مِنَ الضَّروريِّ، أنْ نعملَ لَهُ رسمَ مُخٍّ؛ للتَّأكُّدِ مِنْ ذلكَ، كانتْ صَدْمَةَ لي ولوالِدِهِ.

كنتُ أشعرُ بحرارةِ كلماتِهَا، وهي تقصُّ لي مَرَضَ ريَّان، كانتْ كلماتُهَا تفورُ مِنْ جُورِ أَسَفِهَا عَلَى ابنِهَا البِكْرِ، الَّذِي رَسَمَتْ مستقبَلَهُ، وهو متشبِّثٌ في أحشائِهَا قبلَ أنْ يخرجَ لدارِ الفِنَاءِ، رَسَمَتْ أيامَهُ على صَفْحَةٍ بيضاءَ، شكَّلَتهَا بألوانِ التَّهذيبِ، كانتْ تراهُ ماثلاً أمامَهَا كالقَمَرِ يتوارى خَلْفَ السَّحابِ في الأُفُقِ البعيدة، وَيُرْسِلُ ضَوءً سَاطِعًا يَكَادُ يُصِيبُ عينَهَا بالرَّمدِ لشدَّةِ سُطُوعِهِ!

أمُّ رَيَّان، وأمثالُهَا مِنَ الأُمَّهاتِ الكُثُر، لنْ يتقبَّلنَ نتائجَ الفُحُوصِ بهذِهِ السُّهولةِ؛ فَقَدْ رأيتُ بأمِّ عينيِّ رَفْضَ الآبَاءِ تَقَبُّلِ مثلِ هذِهِ الحقيقة، يُعَانِدُونَ القَدَرَ، ويطوفُونَ بأبنائِهِم لِكِبارِ الأطباءِ والاستشاريينَ، متنقِّلينَ مِنْ مدينةٍ إلى أُخْرَى؛ عَلَّهُم يَجِدُونَ مَا يُبْطِلُ إثباتَ التَّقَارير.

قالتْ أُمُّ رَيَّان: عندما أَخْبَرَنِي الطَّبيبُ أَنَّهُ لا شِفَاءً مِنْ هذا المرضِ، صَعِقْتُ بِسِلْكٍ كهربائيٍّ، هَوَيْتُ عَلَى إثْرِهِ فَوقَ الكُرْسِيِّ؛ لتفادِي الغَيْبُوبة، وَرَحْتُ أهذي، وَبَعْدَ دقائق، فقدتُ الوعيَّ ثُمَّ صَحَوتُ للتوِّ، وَعَلَا صَوتِي عَلَى الطَّبيبِ صِيَاحًا، واستَرْحَمْتُهُ، وَتَوسَّلْتُ إليهِ عَلَّهُ يجدُ دَوَاءً لمرضِ ابني، لكنْ لا جَدَوَى مِنْ ذَلِكَ!.

أَخَبَرَنِي أَنَّهُ لا يُوجَدُ علاجٌ حتَّى الآنَ للمرضِ، إلَّا التَّشخيصُ المبكِّرُ يُمْكِنُهُ أنْ يَحْدُثَ تَغْيِرًا مَلْحُوظًا في حياةِ طِفْلِي المُصَاب؛ أَضَافَ: أيضًا العلاجُ السُّلوكيُّ يُسَاعِدُ في تعديلِ سلوكِهِ وهو العلاجُ الأُمْثَلُ لَهُ.

أنْكَرَتُ مَا قَالَ، (لا!) لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ ولدي مُصَابًا بهذا المرضِ، أَصَابَنِي هَذَيَانٌ، تقيأْتُ حَبَّاتِ التَّمْرِ المختلطةِ بحبَّاتِ السِّمْسِمِ، تَمْتَمْتُ بعضَ الأدعيةِ؛ لِتُصَبِّرَنِي.

تُخْبِرُنِي أُمُّ ريَّان، لم اسْتَسْلمْ للتَّقَاريرِ الطَّبيةِ، لكنْ تقبَّلتُ في النَّهايةِ، وَرَضِيتُ بِهَدِيَّةِ اللهِ (هُمْ مَلَائِكَةُ اللهِ في الأَرْضِ).

لَكِنْ مَا يَقْضِمُ جُزْءًا منْ قلبي، وَوَخَزَاتٍ في صَدْرِي، أنَّنا كُلَّما ذَهَبْنَا لمناسبةٍ، يَتَهَامَسُونَ فِيمَا بينهم: مَجْنُونٌ مَجْنُونٌ! تَتَكوَّرُ في حُنْجُرتي غَصَّةٌ تَكَادُ تُودِي بحياتي، الأطفالُ لا يتقبَّلونَهُ ويضربونَهُ، أصبحتُ أكْرَهُ الخُرُوجَ، نَكَادُ لا نَخْرُجُ نحنُ وإيَّاهُ إلَّا لأمرٍ يستلزمُ الخُرُوجَ، تقوقَعْنَا في عالَمِنَا مع أنَّ أخصائيَّ النُّطقِ، وأخصائيَّ السُّلوك يقولانِ: الدَّمجُ معَ أقرانِهِ أمرٌ ضروريٌّ، لكنَّ أقرانَهُ لا يتقبَّلونَهُ.

ومنْ خلالِ ملاحظَتِي لريَّان، شَخَّصْتُ أنَّ لديهِ إضرابٌ في اللُّغةِ، ويعاني من اضَّطرابٍ في السُّلوكِ التَّكَيُّفِي، اتِّكَاليٌّ؛ ووالدتُهُ مَنْ تفتحُ قنينةَ الماءِ وتسقيَهُ، هي مَنْ تربِطُ خيط حِذَاءَهُ، لديهِ سلوكٌ نمطيٌّ، يدورُ حولَ الأشياءِ، وَيُلَوِّحُ بيدِهِ، يَجْرِي بِدُونِ هَدَفٍ، ينْزَعِجُ مِنْ رنَّةِ الجَوَّالِ، وَمِنْ تَزْمِيرِ بَوْقِ السَّيَّارةِ، لديهِ لَزِمَةٌ، يعضُّ بشكلٍ مستمرٍّ على إصْبَعِهِ السَّبَّابةِ!.

مُتَعَلِّقٌ بِكُرَةٍ ذَاتِ اللَّونِ الأَحْمَرَ، لا يُريدُ سِوَاهَا، قد يبكي حِيَالَ فُقْدَانِهَا؛ حتَّى يأتونَ بِهَا، لديهِ حساسيةٌ

مُفْرَطَةٌ منْ شَمِّ بَعْضِ الْطَّعامِ، يَتَقَيَأُ مِنْهُ، لديهِ روتينيةٌ الطَّعام.

قدْ يَجْهَلُ الآباءُ الأَعْرَاضَ الَّتي تظهرُ على الطِّفلِ في سِنٍّ مبكِّرٍ، في السنةِ الأولى مِنَ العُمْرِ، وإذا لم يكتشفوهَا مبكِّرًا قد تزيدُ في تَدَهْورِ حَالتِهِ؛ لأَنَّ التَّدَخُّلَ المُبَكِّرَ يَحِدُّ منْ تَفَاقُمِ الأعراضِ.

وفي الأَخيرِ كُلٌّ مِنَّا مُعَرَّضُونَ لِمَا تَعَرَّضَتْ لَهُ أمُّ ريَّان، يَجِبُ أنْ نَكُونَ عَوْنًا لِذَوي التَّوحديينَ، وأنْ نُمَارِسَ الوَعْيَ مَعَ أَنْفُسِنَا، وَشَرَائِحَ المُجْتَمَعِ حَولَ هَذَا المَرَضِ، وَمَاهِيَّةِ أَسْبَابِهِ، حَيْثُ أَظْهَرَتِ التَّقَارِيرُ: أَنَّ الاضِّطِرَابَ يَزْدَادُ عَلَى الدَّوَامِ، خُصُوصًا عِنْدَ الذُّكُور..

كنتُ أشعرُ بحرارةِ كلماتِهَا، وهي تقصُّ لي مَرَضَ ريَّان، كانتْ كلماتُهَا تفورُ مِنْ جُورِ أَسَفِهَا عَلَى ابنِهَا البِكْرِ، الَّذِي رَسَمَتْ مستقبلَه، وهو متشبِّثٌ في أحشائِهَا قبلَ أنْ يخرجَ لدارِ الفنَاءِ، رَسَمَتْ أيامَهُ على صَفْحَةٍ بيضاءَ، شكَّلَتْهَا بألوانِ التَّهذيبِ، كانتْ تراهُ ماثلاً أمامَهَا كالقَمَرِ يتوارى خَلْفَ السَّحابِ في الأُفُقِ البعيدة، ويُرْسِلُ ضَوءً سَاطِعًا يَكَادُ يُصِيبُ عينَهَا بالرَّمدِ لشدَّةِ سُطُوعِهِ!

منشورات الواحة